المحاضرة الرابعة

مناهج البحث اللغوي

م. م مها خليل جاسم

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب

المنهج العلمي (Scientific method)

المنهج العلمي مجموعة من التقنيات والطرق المصممة لفحص الظواهر والمعارف المكتشفة حديثا، أو لتصحيح وتكميل معلومات أو نظريات قديمة. تستند هذه الطرق أساسا إلى الاستقراء والتجريب.

عادة يضع الباحث العلمي فرضية hypothesis أو مجموعة فرضيات لتفسير الظاهرة الطبيعية التي يدرسها ويقوم بتصميم بحث علمي research تجريبي لفحص الفرضيات، وإذا ما أثبتت الفرضية تصاغ وتعمم بوصفها نظرية.

وقد أنجز علم اللغة الحديث تقنين مجموعة من المناهج لدراسة اللغة، وكل منهج من هذه المناهج يسد حاجة يتطلبها الواقع اللغوي؛ فبعضها يكشف عن أسرار النظام اللغوي للغة موضوع الدرس، وبعضها يرصد حركة التغير اللغوي عبر الزمن، والبعض الآخر ينهض بمرمى التأصيل اللغوي وتصنيف اللغات إلى أسرات لغوية، وبعضها يأتي لتحقيق غايات تربوية في مجال تعليم اللغات. وعلم اللغة الحديث يستخدم المناهج الأربعة

وفيما يلي موجز عن كل منهج من المناهج السابقة:

أولا: المنهج الوصفي (Descriptive Method):

يقوم هذا المنهج على وصف اللغة "لغة محددة" في زمن محدد ومكان محدد، ويعمد إلى وصف اللغة أو اللهجة في مستوياتها المختلفة، أي في نواحي أصواتها، ومقاطعها، وأبنيتها، ودلالاتها، وتراكيبها، وألفاظها، أو في بعض هذه النواحي، ولا يتخطى مرحلة الوصف، فهو يصف الحقائق ويناقشها دون فلسفة، أو محاكمة لها أو إقحام المنطق في تفسير وتأويل الظواهر اللغوية، فلا يعرض علينا سوى الواقع اللغوي ، دون تدخل من الباحث بتفسير ظاهرة، أو تعليل لاتجاه لغوي.

وعلى الباحث هنا أن يحدد المستوى اللغوي المقصود بالدراسة لظاهرة لغوية محددة صوتيًّا أو صرفيًّا أو تركيبيًّا أو دلاليًّا؛ وذلك لأن عدم تحديد زمن الدراسة أو مكانها أو المستوى اللغوي المدروس، يؤدي إلى الخلط ويصل بالباحث إلى نتائج مضللة؛ فهذا التحديد من دواعي الدقة التي تتطلبها الدراسة العلمية.

وغالبا ما تنصب هذه الدراسة الوصفية، على اللغات واللهجات المعاصرة "وإن كان بعض العلماء، قد قاموا بمحاولات لدراسة اللغة، دراسة وصفية في زمن معين في الماضي" فأية دراسة صوتية أو صرفية أو تركيبية أو دلالية، لإحدى اللهجات القديمة أو الحديثة، تعد دراسة وصفية.

فالمنهج الوصفي -إذن- يسجل الواقع اللغوي للغة موضع الدرس تسجيلاً أمينًا؛ بهدف الكشف عن حقائق النظام اللغوي بمستوياته المختلفة: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. وتمثل الدراسة الوصفية للغة خطًّا أفقيًّا تظهر فيه العلاقات بين العناصر اللغوية، متميزة عن حقائق النظام اللغوي بمستوياته المختلفة.

وقد حقق علم اللغة الوصفي في القرن العشرين، نهضة كبرى، أدت إلى كثير من التطورات المهمة، في علم اللغة الحديث. وقد شهد القرن العشرون مدارس لغوية وصفية متعددة، أهمها:

1- المدرسة اللغوية البنيوية (Structutal Linguistics)

2- مدرسة النحو التوليدي التحويلي (Transformational - Generative Grammar)

3- مدرسة القوالب (Tagmemec Analysis)

ثانيا: المنهج التاريخي (Historical Method):

يقوم هذا المنهج على دراسة لغة محددة عبر الزمن، للكشف عن التغير اللّغويّ على المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية. فيتتبع الظاهرة موضوع البحث في نشأتها وتطورها وتغيراتها خلال تاريخ اللغة وصولا إلى وضعها المعاصر. مثال ذلك: اختيار مجموعة من الألفاظ، ودراسة دلالتها في الشعر الجاهلي، ثم معانيها في العصور الإسلامية إلى عصرنا الحاضر.

ويعتمد المنهجُ التاريخيُّ المنهجَ الوصفيَّ الذي يأتي ممهدًا للدراسة التاريخية، فعلى سبيل المثال يمكن لنا تناول ظاهرة لغوية بالبحث التاريخي بين العصر الجاهلي والعصر الإسلامي (مدتين متقاربتين)، أو بين العصر الجاهلي والعصر الحديث (مدتين

متباعدتين)، أو تناول الظاهرة من العصر الجاهلي، مرورًا بكل العصور حتى العصر الحديث (مدد متعاقبة)؛ فتأتي الدراسة الوصفية بكل أبعادها: (تحديد الزمن، تحديد المكان، تحديد المستوى، تحديد الظاهرة اللغوية، التزام المنهج العلمي وما يتطلّبه من دقة وموضوعية)؛ لإنجاز وصف الواقع اللغوي لكل عصر من العصور، ثم يأتي بعد ذلك دور الدراسة التاريخية التي ترصد التغير اللغوي.

ثالثا : المنهج المقارن (Comparative Method):

يقوم المنهج المقارن على المقارنة بين لهجتين، أو أكثر، تتفرعان عن لغة واحدة، أو بين لغتين مختلفتين أو أكثر بشرط انتماء هاتين اللغتين أو تلك اللغات إلى أسرة لغوية واحدة، وتهدف إلى تحديد أوجه التشابه والاختلاف في المستويات اللغوية (الصوتية، الصرفية، التركيبية، الدلالية)، وتحديد صلات القرابة بين هذه اللغات بناء على المقارنة؛ وتخلص إلى تصنيف اللغات إلى أسر وفروع لغوية، والتوصل إلى اللغة الأم Proto Language لكل أسرة لغوية.

فهو دراسة الظواهر الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية في اللغات التي تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة ، وبيان العلاقات التاريخية بين اللغات التي تكون بينها علاقة قرابة أو تعود إلى أسرة لغوية واحدة .

فيقدم لنا النحو المقارن -على سبيل المثال- نظاما، تصنف فيه اللغات في أسرات تبعا لخصائصها، فبمقارنة الأصوات، والصيغ، تتجلى ضروب التجديد الخاصة بكل لغة، في مقابل البقايا الباقية من حالة قديمة.

وقد يقارن عالم اللغة بعض الكلمات ، كالضمائر في اللغة العربية الجنوبية ، ومنها ضمائر التثنية في اللغتين السبئية والمعينية باللغة العربية الشمالية (الفصحى). أو يقارن بعض الضمائر الفينيقية كضمير المخاطبات والغائبات بنظائرها في اللغات السامية الشمالية الغربية الأخرى كالآرامية والعبرية.

إن اكتشاف السنسكريتية (لغة الهند القديمة) سنة1786 م من طرف وليام جونز السبب الأساس لظهور هذا الفرع من علوم اللغة عند الأوربيين، حيث وجه الأنظار إلى الدراسة المقارنة على أسس علمية والتي كانت نقطة تحول في الدراسة اللغوية في أوربا.

من المشهور بين الباحثين أن الدراسة اللغوية المقارنة لم توجد إلا في العصر الحديث، وبعد اكتشاف اللغة السنسكريتية. يقول محمد الأنطاكي: "لم يفطن أحد إلى وجود القرابة بين كل هذه الألسن، ولم يظهر المنهج المقارن إلا بعد العثور على اللسان السنسكريتي".

وهذه المقولة برغم شيوعها ليست صحيحة، على الأقل بالنسبة للدراسات العربية. فقد وجدت منذ القرن العاشر الميلادي "الرابع الهجري" دراسات مقارنة قام بها لغويون متخصصون، ومعظمها تم في المغرب والأندلس على يد لغويين مسلمين ويهود سجلوها باللغة العربية، نذكر منهم :

يهوذا بن قريش التاهريتي (القرن العاشر الميلادي أي الرابع الهجري) الذي له كتاب يقارن به بين العربية والعبرية يذهب فيه إلى وحدة الأصل بينهما.

وابن حزم الأندلسي (456هـ) يقول في كتابه (الإحكام في أصول الأحكام): "الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينا أن السريانية والعبرانية والعربية... لغة واحدة تبدلت مساكن أهلها، فحدث فيها جرش كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان، ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي... وهكذا في كثير من البلاد، فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبدلا لا يخفى على من تأمله... فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم وأنها لغة واحدة في الأصل".

وإسحاق بن بارون (القرن الحادي عشر الميلادي) في كتابه: "كتاب الموازنة بين اللغة العبرية والعربية" الذي عقد فيه مقارنة بين اللغتين على المستوى النحوي، فتوصل مثلا إلى أن التثنية والجمع يَتِمَّان في العربية بإضافة النون بينما العبرية تضيف الميم. وعلى المستوى المعجمي حيث جمع كل الجذور التي يتشابه نطقها ومعناها في كلتا اللغتين.

قام المنهج المقارن بتصنيف اللغات إلى أسر أو مجموعات، أهمها:

1- اللغات الهند أوربية: تضم عددا كبيرا من اللغات المنتشرة في منطقة شاسعة من الهند وإيران إلى أوربا.

2- اللغات السامية: تشمل العربية والعبرية والآرامية والأكادية والحبشية.

وإلى جانب هاتين الأسرتين الكبيرتين هناك أسر لغوية كثيرة أخرى.

وقد قسمت اللغات هذه التقسيمات بناء على مقارنات بينها أثبتت أن هناك أوجه شبه بينها على المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي، مما يعني أن اللغات المنتمية إلى الأسرة نفسها قد انحدرت من أصل واحد مشترك تفرعت عنه لغات الأسرة كلها.

أما عن **مرامي علم اللغة المقارن في أوربا** فيمكن إجمالها في ما يلي:

الرؤية التاريخية : بغرض التوصل إلى اللغة الأقدم تاريخيا واللغة الأحدث.

البحث عن القوانين التي تفسر الظواهر اللغوية: مثل ما نجد في قانون Jacob Grimm الذي أجرى العديد من البحوث التطبيقية الصوتية , قارن فيها بين بعض اللغات, ومن بين ما توصل إليه أن هناك تبادلا بين اللغات فيما يتعلق بحرفي"f" و"p") مثلا الكلمة اللاتينية) patsr أب) تحول فيها حرف p إلى f في الإنجليزية (father) بينما ظل كما هو في الفرنسية (père).

محاولة التصنيف والتبويب للغات : مثلما يفعل علماء النبات للنباتات المتنوعة .

رابعا : المنهج التقابلي (Contrastive Method**)**:

يقوم هذا المنهج على المقارنة بين لغتين مختلفتين لا تنتميان إلى أسرة لغوية واحدة. ويتناول مقابلة لغتين :

اللغة الأولى: هي اللغة الأم التي اكتسبها الفرد في طفولته و بئته التي نشأ فيها .

واللغة الثانية: هي التي اكتسبها الفرد بعد ذلك

وقد نشأ المنهج التقابلي حديثًا في إطار المدرسة الوصفية لدارسة اللغة ، لخدمة أهداف تربوية في جانب علم اللغة التطبيقي في مجالات متعددة: أهمها مجال تعليم اللغات، فثمة صعوبات تصادف من يتعلمون لغة أخرى (لغة ثانية) بالإضافة إلى لغتهم الأم، وهذه الصعوبات ناتجة عن الاختلاف الموجود بين نظام اللغة الأم ونظام اللغة الثانية.

فمن المهم أن يؤخذ في الاعتبار أنّ اكتساب لغة جديدة لا يتم بمعزلٍ عن العادات اللغوية للغة الأم التي استقرت في ذهن المتعلم؛ وذلك لأن **أعضاء النطق**، وكذلك **الجزء الخاص باللغة في العقل**- حدث لها أمران:

أ- تكيف كل منها على النظام الخاص باللغة الأم بمستوياته كلها (صوتية، وصرفية، وتركيبية، ودلالية).

ب- حدث بين العقل وأعضاء النطق ما يسمى بالتوافق الذهني العضلي في القدرة على أداء اللغة الأم.

(مثال: صعوبة نطق العين والحاء لمتعلم العربية ممن لغته الأم الإنجليزية، لعدم وجودهما في الألفبائية).

(مثال: يواجه متعلم الإنجليزية ممن لغته الأم العربية صعوبة في نطق الكلمات التي يتوالى فيها ساكنان أو أكثر (street) لعدم وجود نظير لهذا المقطع في العربية).

خامساً: المنهج الجغرافي:

تعد عناصر البيئة التي يعيش فيها الإنسان من المكونات الأساسية للمفاهيم التي يعبر عنها، ولذلك نجد اللغة التي يتكلمها الإنسان تدل على بيئته الجغرافية التي يعيش فيها، فالذي يعيش في بيئة صحراوية ليست لغته كالذي يعيش في بيئة زراعية، وهما يختلفان عن لغة من يسكن مناطق الثلج. ولذلك تُعَدُّ اللغة دليلاً صادقاً للجغرافي الذي يريد أن يعرف المظاهر العامة للبيئة التي يعيش فيها أصحاب لغة معينة، وتساعده في ذلك نتائج دراسة (علم اللغة) للغةِ كلِ بيئةٍ من تلك البيئات.

ومما يشترك فيه العلمان: وضع الأطلس اللغوي، وهو يعنى بتحديد الفواصل الجغرافية بين اللهجات التابعة للغة واحدة، وبين اللغات المختلفة، ويبين أماكن تداخلها، وما تتميز به كل منطقة جغرافية عن الأخرى من خصائص صوتية ومعجمية ودلالية.

اقتبس علم اللغة منذ أكثر من نصف قرن طرائق علم الجغرافية ليضع حدودا لغوية للهجات المختلفة في خرائط تبين معالم كل لهجة وما تختلف به عن لهجة أخرى. ولا تختلف هذه الخرائط عن خرائط الجغرافية إلا أن ما يدون عليها هو ظواهر لغوية، وتطلعنا هذه الخرائط على الاختلافات الصوتية بين المناطق المختلفة، فقوم يجهرون أصواتاً، وقوم يهمسونها، وطائفة تنطق (الفتحة) صريحة وأخرى تنطقها ممالة.

ومن أشهر الأعمال في مجال المنهج الجغرافي اللغوي هو (الأطلس) الذي عمله المستشرق المشهور (برجستراسر) (ت1932م)، فقد عمل (أطلساً) لغويا لبلاد سوريا وفلسطين سنة (1914م).

وقد ضم هذا الأطلس معلومات مفيدة، ففي الناحية الصوتية لاحظ أن (الكاف) يختلف نطقها بين البدو والحضر، وفي مجال الصيغ لاحظ أن الضمير (نحن) ينطق به على هذا النحو عند الحضريين في الشمال وعدد قليل من البدو، وينطق (احنا) بين الحضريين في الجنوب والبدو في الغرب.

وفي مجال المفردات يذكر أن البدو يستعملون في معنى (الآن) كلمة (هسّع) او (هسّاع) وكذلك الحضريون في شرق الأردن. أما سائر الحضريين فإنهم يستعملون (هلّا) وكذلك (أسّا) وذكر أيضا أن الحضر يقولون (في عرضك) أما البدو فيقولون (دخيك). هذه الأمثلة مما ورد في الأطلس اللغوي.

ومن الدراسات في مجال علم اللغة التاريخي دراسة الدكتور إبراهيم السامرائي الموسومة بـ (التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق) وفيه بيان للهجات العراقية موزعة على مناطقها من العراق.

ويلاحظ على المنهج اللغوي الجغرافي أنه منهج وصفي أي يُعنى بالواقع ويسجله، ولا يهتم بالأسباب والدواعي التي تعود إليه أو بمعنى آخر لا يُعنى بأصول الظاهرة اللغوية.

سادسًا: المنهج التركيبي:

مرماه الرئيس، وصف تركيب اللغة، وقد يستعمل هذا الاصطلاح في معنى أضيق ليشير إلى أعمال مدرسة لغوية معينة من مدارس علم اللغة الوصفي، تؤمن بأن أي تغير في اللغة لا يحدث خبط عشواء، أو فرديا، ولكن يؤثر في نظام اللغة وإطارها العام، مع وجود خيط معين يربط التغيرات بعضها ببعض.

هذا المنهج الجديد يعلي من قيمة الكل فوق الجزء. فهو يقدم رؤية جديدة لفهم الأشياء عبر ثلاث خطوات أساسية:

1. التعرف إلى عناصر النظام المكونة له. 2- فهم العلاقات بين العناصر.

3- فهم دور العناصر عبر العلاقات في عمل النظام المحيطة بها جميعا.

هذا المنهج الجديد يؤدي إلى نتيجة مفادها أن التخصص لا يفيد في فهم محيط الأشياء بكل تموجاته وأطيافه المتعددة، بل قد يقف حاجزاً لفهمه. فالمنهج التحليلي يؤدي إلى معرفة صفات العناصر الجزئية وكيف تعمل، أما المنهج التركيبي فيؤدي إلى فهم المنظومة مجتمعة، ومعرفة الأسباب الجذرية التي تحرك الأشياء بالطريقة التي تتحرك بها.